تطور الدراسة النقدية للشخصية الروائية

في النقد الجزائري

من خلال ثلاث نماذج

د . هورة نسيمة

أستاذة بقسم اللغة العربية و أدابها

بجامعة الجلفة

الكلمات المفتاحية:

الرواية–الجزائرية–المعاصرة–التجريب–الثلاثية–الشخصية–الروائية.

ملخص بالعربية:

لقد تنوع البحث النقدي في مجال دراسة الشخصية الروائية وتعدد ضمن أنساق تهدف إلى إبراز مختلف العوامل التي تعمل على الكشف عن ملامحها الإبداعية، فكان لمختلف الدراسات الاجتماعية والنفسية والأنثربولوجية واللغوية وغيرهم أثر كبير في تناول أبعاد الشخصية الرواية وتطورها، ولذلك ارتأينا في هذا المقال أن نقف عند هذا التطور في مساحات النقد الجزائري من خلال ثلاث نماذج متباعدة زمنية بحيث نستطيع أن نستجلي مختلف العوامل والمؤثرات التي نفذت إلى عمق الشخصية الروائية وشكلت تمظهراتها في كل فترة.

ملخص باللغة الفرنسية:

Rrésumé :

La recherche critique a été variée dans les champs de l'étude du personnage narrative, ainsi que dans des dimensions visant à mettre en évidence différents éléments qui permettent de révéler leurs fonctionnalités créatives. Donc, Les diverses études sociales, psychologiques, anthropologiques, linguistiques et autres ont eu un impact significatif sur les dimensions du nous personnage et son évolution. Par conséquent, dans cet article, essayons d'étudier ce développement dans le domaine de la critique Algérienne à travers trois modèles à différentes périodes pour pouvoir rechercher sur différents éléments et effets qui ont formé le personnage narrative.

ملخص باللغة الانجليزية:

Abstract :

The critical research has been varied in the fields of study of the narrative personage, and in dimensions to highlight different elements that reveal their creative features. So, The various social, psychological, anthropological, linguistic and other studies have had a significant impact on the dimensions of the character and its evolution. Therefore, in this article, we try to study this development in the field of the Algerian criticism through three models at different periods to be able to search on different elements and effects that formed the narrative personage.

تمهيد:

لم ينشغل النقاد العرب و منهم الجزائريين ، على تنوع اتجاهاتهم و مذاهبهم النقدية بالأعمال القصصية كما حدث في هذه السنين الأخيرة ، فما كتب في المسرح أو الشعر لا يقاس بالنسبة لما كتب عن الأعمال القصصية ، قديمها و حديثها، و قد حاولت هذه الأبحاث منذ ذلك الوقت أن تفيد من كل العلوم الإنسانية، كالدراسات الأنثروبولوجية و الاجتماعية و النفسية و الفلسفية ، فضلا عن الدراسات اللغوية الحديثة .

و في الدراسة النقدية الجزائرية التي تناولت الرواية نذكر على سبيل البداية النقدية المقالات المنشورة في المجلات ، من مثل :

. مقال (الرواية الجزائرية المعاصرة) لحنفي بن عيسى المنشور بمجلة الثقافة ، في عددها الثامن و التاسع ، في الأول من ماي 1972 .

. و مقال (كتاب : حكاية العشاق في الحب و الاشتياق) للناقد و الشاعر و المؤرخ أبو القاسم سعد الله ، الذي نشر في مجلة الثقافة ، في عددها العاشر ، في الأول من سبتمبر 1972م . و قبله قام بدراسة (الكتاب) في مجلة الثقافة في عددها الأول سنة 1971 م .

و بعد :

بينما احتدم النقاش و الضجة في الوسط الروائي العالمي ، حول ما ينبغي أن تكون عليه الشخصية من حيث ملامحها المادية العامة ، و حول التسمية (أطلق كافكا على الشخصية حرف و في رواية أخرى رقم) ، ووقوع النقد الروائي بين

حدي القطيعة ، أي بين الرواية التقليدية والرواية الجديدة ، نأتي نحن في بحثنا هذا إلى تتبع ما كان من تطور النقد الجزائري حول هذا المشكِّل من المشكِّلات السردية .

فأختار ثلاثة نماذج نقدية متباعدة الفترة الزمنية :

1. مقالة بعنوان : **الشخصية الثورية في الرواية الجزائرية** للأستاذ زهير علاف ، و يحسب لهذه المقالة أنها من بواكير النقد الروائي الجزائري (1978 م) ، و أيضا كون كاتبها قاص ، و شاعر شعرٍ حر في سنوات السبعينيات و الثمانينيات [1].

2 . فصل : **الشخصية : الماهية و البناء و الإشكالية** ، من كتاب في نظرية الرواية ، لعبد المالك مرتاض [2] .

3 . فصل : **دراسة الشخصية الروائية** ، من كتاب لغة النقد الأدبي الحديث لفتحي بو خالفة [3].

<u>عمل و منهج زهير علاف في دراسته :</u>

لم يعرف الناقد (الشخصية) ، و ذهب إلى تعريف الثورية فيقول : ((سنقتصر في دراستنا هذه على الشخصية الثورية ، لذا لابد من تحديد مفهوم (الثورية) لكي لا نتجاوز حدود البحث)) ، و يمضي الكاتب معرفا :((فالثورية كما أظن محاولة

---

[1] مجلة الثقافة (تصدرها وزارة الإعلام و الثقافة بالجزائر) ، العدد 46 ، سبتمبر 1978 م .حجم المقال (21 صفحة) .

[2] عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) ، سلسلة عالم المعرفة ، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، عدد : 240 ، شعبان 1998 . (حجم الفصل 19 صفحة) .

[3] فتحي بو خالفة ، لغة النقد الأدبي الحديث ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط : 01 ، 2012 . (حجم الفصل 39 صفحة) .

تغيير واقع ما عن طريق القوة و العناد)) [4]، و الذي نعرفه نحن أنَّ من منهج التعريف الابتعاد عن الشك و عدم الضبط و يغفر للبحث أنهفي وقته تقل المراجع المختصة ، و المعاجم المتخصصة ، فهو بحث مبني على الاجتهاد .

بعدها يمضي الناقد ، حيث قسّم الشخصيات إلى شخصيات رئيسية و أخرى ثانوية ، و الشخصيات الرئيسية هي التي كانت محور كثير من الأحداث ، و مثَّل لها بشخصية : البشير في (نهاية الأمس) لبن هدوقة ، و مالك في (ريح الجنوب) لبن هدوقة، و زيدان في (اللاز) للطاهر وطار ، و سعيد في (نار ونور) لعبد المالك مرتاض.

وهي شخصيات تحددت في هذا المتن النقدي بكونها ((شخصيات تتبع ثوريتها من معين الثقافة ، و درست أوضاع الجزائر بتعمق)) .

أما الشخصيات الثانوية ((فكانت من النّاس العاديين ، الذين لم ينالوا نصيبا كبيرا من الثقافة ، فثوريتهم تتبع من بساطتهم و طيبة قلوبهم ، كما أن شخصياتهم متشابهة ، و لا يمكن تمييزها بميزات نفسية محددة)) ، و نرى أن الناقد هنا يلَّمح إلى الجانب النفسي للشخصية .

و الذي نلحظه أيضا أن الناقد بعد تقسيمه لأنواع الشخصيات في الرواية ، يعود إلى نقطة كان الأجدر تقديمها ، و هي تحديد المتن المدروس في هذه المقالة ، و لكن يأتي بصيغة استثناء شخصيات من روايات ، مما جعلنا نفهم أن المتن المدروس هو كل الروايات الجزائرية ماعدا التي يستثنيها ، (في حين كانت المنهجية تقتضي استثناء الروايات و ليس الشخصيات) ، فتبرز لنا هذه الملاحظة المتأخرة ((أما علي الحوات بطل (الحوات و القصر) للطاهر وطار ..الذي وقفني

[4] زهير علاف ، الشخصية الثورية في الرواية الجزائرية ، ص : 73 .

عن إدخاله في هذه الدراسة أنه لا يتسم بالطابع المحلي كما اتسمت النماذج الأخرى . و أما رواية (طيور في الظهيرة) لبقطاش مرزاق ، فلم أدخل بطلها في هذه الدراسة لأنّها لم تكن مجموعة في كتاب ، و لقد بذلت الجهد الكبير للحصول على كل أعداد مجلة المجاهد التي طبعت فيها مسلسلة ، فلم أقدر . و أما ((البشير)) بطل ما لا تذروه الرياح فإننا لا نعتبره شخصية ثورية ، لأنه لم يكن يسعى إلى تغيير الأوضاع ، بل بذل العناء الكبير كي يغير نفسه)) [5] .

أما في دراسة الناقد لشخصية (البشير) في رواية نهاية الأمس لبن هدوقة ، فقد ارتأى تقسيم الخط الزمني لحياة الشخصية إلى مراحل : فقدّم الناقد وصفا للشخصية ، و لكنّه وصفٌ من وراء ذلك للعلاقات الاجتماعية من حولِه و للأحداث ، كما أن الناقد أعطانا صورة لطريقة تقديم الشخصية في الروايات الأولى ، كما أن هذا الوصف هو ما يتطلبه البحث في موضوع ثورية الشخصية ، لأنَّه بحث موضوعات ، و عقب ذلك يلخص حياة الشخصية في خط بياني : (خط أفقي متجه للصعود ، ثم يتجه نحو الانحدار ، ثم يستمر الانحدار بتسارع حتى تتحطم ، ثم أخيرا تصعد بطريقة مدهشة و غير معقولة) ، و نعتبر هذا كإجراء في الطريق إلى التجريد النقدي ، حيث تتبع الناقد خيط التغير و تقلب مواقف الشخصية [6].

يقدم النقاد ارتياحه لنهاية خط سير حكاية الشخصية فيعلق :((و مع أن هذه المرحلة هي متخلفة زمناً ، و هي التي كان ينبغي أن تتأخر عن المراحل الثلاث السابقة لها ، ففاجأنا بها الكاتب كشخصية فذة سدّ بها علينا كل أبواب التفكير ، و لو فعل الكاتب غير هذا لكنَّا أقل اقتناعا بها)

---

[5] زهير علاف ، المقالة ، ص : 75 .

[6] أنظر : حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، ص : 246 .

الناقد ينتمي لفترة رواج التيار الواقعي ، عندما كان القارئ ينتظر من الكاتب حلولا و بطلا يُقدِّم هذه الحلول ليرتاح لها ، كما كان يتوقع ايجابية من النَّص في عرضه للأفكار المطروحة ، كأن نجد ـ إضافة لما سبق ـ في المتن النقدي على سبيل الاستشهاد:

((إن تخلي البشير عن ماضيه فجأة ، **لا مبرر له في نظري** ، و لا يبيحه الإطار النفسي الذي قدّمه لنا بن هدوقة ، فحاضره هذا الذي تخلى عنه لا يمكن إلا أن يكون امتدادا للماضي ، و لولا ـ الماضي ـ لما كان له هذا الحاضر الذي يعايشه)) [7] . فعندما تصير القصة على مقربة من الواقع ، تتولد عند القارئ مباشرة عملية التبادل الإدراكي ، تارة من داخل النص إلى خارجه ، و تارة أخرى من خارج النص إلى داخله [8]، فالكاتب يقيس ما تعيشه الشخصية في خط سير حياتها و هو تخيلي على ما يعايشه الكاتب ذاته و واقعه القرائي .

و في حديث الناقد عن شخصية (سعيد) بطل رواية (نار و نور) لمرتاض نرى إشارة إلى طريقة كتابة الرواية ((الحقيقة أن شخصية سعيد لا تمتاز على شخصية فاطمة أو قدور ، أو غيرهم في هذه الرواية ، لأن مرتاضا نظر إلى الحدث ـ في روايته ـ ثم صاغ أبطاله ، و حدد شخصياتهم بينما نجد بن هدوقة يركز على البطل و يصوغ الأحداث بعد ذلك)) . فالكاتب بَيَّن رؤيته و لم يترك للشخصية حريتها ، فجاءت نمطية بالنسبة لباقي شخصيات الرواية ، و يظهر لنا هذا من دون صياغة نقدية مضبوطة للحكم التالي: ((و الثورة عند مرتاض هي الوطنية ، و لا وطنية بدون ثورة و ليس ثمة حل وسط " فالعار كل العار في الإخلاد إلى الصبر على الهوان، و الركون إلى الذل و الاستكانة)) ، و بعد هذا الاستشهاد نتساءل هل

---

[7] زهير علاف ، المقالة ، ص : 81 .

[8] نبيلة إبراهيم ، فن القص في النظرية و التطبيق ، مكتبة غريب ، د ت ، ص : 168 .

مرتاض شخصية من شخصيات الرواية ؟ بطبيعة الحال هناك تعاقد بين الكاتب و الناقد ألفه الاتجاه الواقعي حينها ، من مجاراة النص للواقع .

أيضا تتبع الناقد زهير علاف شخصية (زيدان) من رواية اللاز للطاهر وطار من خلال عدد لا بأس به من المقتطفات من نص الرواية ، تتبع بأسلوب السرد ما مر به زيدان في حياته ، و كيف تَكونت أفكاره الشيوعية و دور و موقع زيدان القيادي في المجتمع بعد عودته من موسكو بعدها يعطي حكمه النقدي ، فيشير من خلاله إلى عمل الطاهر وطار على مستوى هذه الشخصية : ((من كل ما سبق نستنتج أن وطارا بذل جهدا كبيرا ليقدم لنا شخصية نموذجية بدقة و حذر ، فبدت لنا واضحة الأهداف و الرؤية ، يطابق فكرها واقعها)) [9] ، و يواصل ((و لابد لنا من القول : أن هذه الشخصية (زيدان) لا تخلو من نزعة نحو المثالية)) .

و بعد استيفاء الناقد للشخصيات الرئيسية ، و هي أربع شخصيات من أربع روايات ، يحلل و يصف حياة الشخصيات الثانوية و علاقتها بالخاصية الثورية ، فيكشف أنها ثارت نتيجة ضغط و قهر تعرضت له في الحياة و أنَّها لم تثر من أجل الصالح العام ، و ثورتهم انفعالية و نوع من رد الفعل أكثر منها ثورة داعية . فتكشف لنا هذه المقالة ما نستطيع الركون إليه الآن من معرفةٍ للصفات النقدية لشخصية البطل في الرواية الجزائرية التأسيسية .

و أشير إلى ما نلحظه في هذه المقالة ، و نعتبره خطوة إلى الأمام اتجاه المنهج النفسي ، حيث خصص الناقد فقرة لجمع الأوصاف و السمات النفسية للشخصية الثورية الرئيسية (مالك) في رواية ريح الجنوب فنجده استخرج من نص الرواية سبعة مقتبسات من صفحات متفرقة : ((أما إطار شخصية مالك ، فيبدو من خلال الرواية

---

[9] زهير علاف ، المقالة ، ص : 89 .

أنه (صامت ساخط ، لين عنيف) (يحسن الصمت ، لا تبدو عليه كبرياء ، و لا تدل نظراته الثاقبة على غباوة)، (يستطيع السيطرة على أعصابه في أحرج المواقف) و كان (ثائرا يقظا يعرف مواطئ قدميه) و (هو مناضل مثقف) يحمل أفكارا اشتراكية ، يؤمن بالمستقبل و الإصلاح الزراعي)) [10] ، و يتبعها بملاحظته : ((ومن تتبعنا لشخصية مالك من بعض مواقفه في الرواية نلاحظ أنها كانت مضطربة حينا ، و متناقضة بين ما تحمل من آراء ، و بين ما تقوم به من أعمال حينا ، و غامضة حينا آخر)) .

كما أشار الناقد إلى : أن اسم (البشير) لم يكن صدفة ، بل أراد الكاتب ـ قاصدا ـ أن يجعل من (بشيره) بشيرا حقيقيا ، كما ربط بين مالك بطل ريح الجنوب ، و بين الملكية التي أرقته طويلا ، و كان تنظيمها من أكبر همومه ، فنرى أنَّ الناقد يُشير في عجالة ، و يقصد إلى أنّ تسمية الشخصية من ضمن العمليات البنائية التي يراعيها الكاتب في بنائه لعنصر الشخصية ن كما نجده بعد ذلك عند حسن بحراوي : ((فالروائي يضع الأسماء لشخصياته و هو يسعى إلى أن تكون متناسبة و منسجمة بحيث تحقق للنص مقروئيته و للشخصية احتماليتها ووجودها))[11] ، وأمر تسمية الشخصية راج الرواية لوقت طويل قبل أن يثور عليه أتباع الرواية الجديدة كما سنرى في مقالة عبد المالك مرتاض لاحقا .

<u>نصل إلى خلاصة القراءة :</u>

. انطبعت هذه الدراسة بالنظرة الانطباعية في الكثير منها ، خاصة أنها كانت خلوا من المراجع المعتمد عليها كركيزة ، حيث خلت المقالة من التهميش .

---

[10] زهير علاف ، المقالة ، ص : 76 .

[11] حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، ص : 247 .

. كما نلحظ غياب التحكم المعرفي في الجهاز المفاهيمي النقدي الخاص بجماليات الكتابة الروائية ، أي من المصطلحات النقدية السردية [12] ، و ما يبرر هذا أنه من المقالات التي تمثل بواكير النقد الروائي في الجزائر .

. جاء هذا المقال كالعرض التعريفي بالشخصيات ، حتى أننا نلحظه يتعامل معها بصفة الشخص ، مثل : ((و لكننا نستغرب أن يقع ثوري واع في مثل هذا الفخ ، و بسرعة لا يكاد العقل يتقبلها)) [13] . و الذي عرَّفه النقد لاحقا بالاتجاه الواقعي في الأدب و النقد .

. و ما يشفع لهذه الدراسة و يقدمها للريادة ، ما كان من إشكاليات الدراسة النقدية في تلك الفترة ، المتمثل في ظروف النشر العسيرة بالنسبة لجنس الرواية ، كونها نص طويل يتطلب دفتي كتاب (ذكر الكاتب استثناءه لرواية بسبب صعوبة الحصول على كل أجزاءها لأنَّها نشرت متفرقة) . و كون النقد بطبيعته يعقب الأدب ، و من ثم كتبت للناقد الرِّيادة في هذا المجال ، زيادة على ممارسته إبداع القصة و الشعر الحر .

---

[12] لأنه بعد خمس سنوات نشرت نفس المجلة مقال (واقعية القصة الجزائرية الحديثة) لمصطفى بلمشري ، 1983 ، ووجدنا فيه اللغة النقدية التالية : يرسم لنا شخصية بطله بكل أبعادها النفسية ، قوامه اللغة الشاعرية المكثفة ، تماسك البناء الدرامي و المعماري ، الموازنة بين المضمون و الشكل .

[13] زهير علاف ، المقالة ، ص : 76 .

عمل و منهج عبد المالك مرتاض :

يروح الكاتب ذهابا و إيابا بين الرواية التقليدية و الرواية الجديدة حتى يبيِّن لنا الدور الذي أوكله الكاتب للشخصية في الروايتين ، فيعرفها و يضبط اصطلاحها ، و يرصد حركة النقد حولها ، فيصل من بلزاك إلى بداية القرن العشرين ، و تأثير آراء و كتابات جويس و بيكيت ، و ما توصل إليه كافكا من إذلاله . بلفظ مرتاض . للشخصية الروائية .

حيث نلفي الشخصية في الرواية التقليدية كائن ممتلئ (ملامحه و لباسه و طوله و لونه و و) ، و يصف من خلاله الحياة الواقعية (ثقافيا و اقتصاديا و اجتماعيا و سياسيا) حتى أنَّه تكاد تجري الدم بعروقه بخطو الروائي خطوات المؤرخ .. ، إذ يقول " و من أجل ذلك كنا نلفي كثيرا من الروائيين يركزون كل عبقريتهم و ذكائهم على رسم ملامح الشخصية ، و التهويل من شأنها و السعي إلى إعطائها دورا ذا شأن خطير تنهض به تحت المراقبة الصارمة للروائي التقليدي الذي كان يعرف كل شيء . سلفا . عن شخصيات روايته ، و أحداثها و زمانها و مكانها " [14] .

أما الشخصية في الرواية الجديدة فلا علاقة لها بتقنية الرواية التقليدية البتة، إذ أضحت سمة الرواية الجديدة (الغياب المطلق للعلاقات الشرعية بين المجتمع و ثقافته ، و بين نظام الإنتاج ، و فكرة الإنسان نفسه) [15]، و يأتي النقد الغربي بكلمته الفصل في هذا الموضوع أن : " لا كاتب له الحق في أن يحمل صورة الحياة

---

[14] عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، ص : 76 .

[15] ميشال زيريفا ، الشخصية الروائية (الموسوعة الجامعة) ص : 35 ، نقلا عن عبد المالك مرتاض ، ص : 77 .

بكل معانيها الإنسانية لمجرد شخصية روائية ، و أسوأ من ذلك أن يكلفها بحمل رسالة " [16] .

و يستشهد عبد المالك مرتاض بقول أندري جيد على وضع الشخصية في الرواية ، حيث يقول : " علينا زم الحقائب لمجرد أن يغتدي الأمر متمحضا لشخصية ينهض رسم ملامحها على حالة مدنية ، و لباس ، و كل ما يمثُل في السمات التوصيفية " [17] .

منهجه :

تأتي هذه المقالة خلافا للتي قبلها . بعد عشرين عاما . بعد رواج حركة التجريب في فن الرواية مع رواد الرواية الجديدة ، و مع بروز اتجاه رفض قواعد الرواية التقليدية .

منذ البداية يعلن مرتاض موقفه من الرواية الجديدة :

وهو موقف عدم تقبل لحجم الفعالية النقدية التي دارت حولها : ((و السؤال الملغز الذي قد يمضي الزمن متطاولا و لا نظفر له بجواب ...ما بال آلاف الروايات التي كتبت في القرون الأخيرة ، بينما لا يتحدث النقاد إلا عن زهاء عشر روايات من جميع القارات ؟ .

بعدها يستند إلى رأي فيرجينيا وولف و جيمس جويس لتعليل النقلة من الرواية التقليدية إلى الجديدة : ((كان جيمس وولف و كثير من الكتاب العالميين يرفضون التحديد الاجتماعي و النفسي للشخصية الروائية ، و كانوا يرون إن مثل هذا التحديد لم يكن إلا وهما أو خداعا حيث أن واقع فرد و حقيقته لا يتحدد بوضعه ، و لا

---

[16] نفسه، ص : 77 .

[17] نفسه ، ص : 80 .

بطبعه في المجتمع و لكن بطائفة من القيم الثابتة ، و التي تنهض في الغالب على غير المتوقع فتتسم بالارتجال))[18] .

قام مرتاض في هذا الفصل بالتنظير أثناء عرضه لآراء النقاد العالميين و مؤسسي الرواية :

ـ ((و الرأي لدينا حول هذه المسألة التي عدت ثورة كبرى على التقليد ، في سعي كافكا حول التسمية ، أن الاسم الذي يطلق على الشخصية السردية لا يعني إعطاءها صفة لازبة ، و لا توكيد شرِّيتها أو خيريتها من مجرد الاسم الذي يطلق عليها ، فأي علامة يمكن أن تحل محل الاسم ، كما أن أي ضمير من الضمائر يمكن أن ينهض بهذه المؤونة و لا حرج) و يواصل ناقدنا ((**فكافكا ربما لم يأت بجديد على الإطلاق**)) .

و في احتجاجه بالتمثيل يورد : " أي حرج أن يطلق مطلق من كتاب الرواية ، و مدبجي الحكايات ، على شخصية من شخصياته علامة من هذه العلامات كما نطلق حروفا معينة ، محرفة عن الاسم الأصلي الطويل، على صبي من صبياننا ، أو على رئيس من رؤسائنا ، أو فنان من فنانينا ...، و حجته على ذلك ما كان في العربية من اشتقاق الاسم من وسم ، و أن العلامة هي علامة في نفسها ، و بالعقد الاجتماعي بين الناس ، و بالاصطلاح فيما بينهم على أمر ما ، فأي شيء يمكن أن نعلمه علما ، أو نسِمَه وَسْما بما نشاء من السمات [19].

ـ في مقبوس من كتابه يرد على رأي بوث : ((إذن ، فالكتابة بضمير الغائب ، أو بضمير المتكلم ، لا يكون لأحدهما شيء من المحاسن ، فيما يزعم بوث ، و لا

---

[18] مرتاض ، في نظرية الرواية ، ص : 80 .

[19] أنظر : عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، ص : 86 .

شيء من الامتيازات عن سواه)) ، **بيد أن هذا الرأي غير مسلم به ، و نحسب أن لكل ضمير خصائصه الفنية و الشعرية ، و حتى التقنية أيضا ، و يمكن أن يكون ضمير أليق من ضمير في حالة سردية معينة . و لا نحسب أن كل ضمير ، يمكن أن يحل محل صنوه دون أن ينشأ عن ذلك أي أثر من الآثار** " [20] .

ـ تمتلئ المقالة بآراء مرتاض حول الكلمات المصطلحية في السرديات :

ـ يفرق بين لفظتي " شخصية " و " شخص " كمقابل للمصطلح الغربي perssonage ، لأن إطلاق الشخصية مفهوم لا يخلو من عمومية المعنى و لأنه زئبقي الدلالة ، لذا ارتأى تمحيضه للحديث عن السرديات .

ـ أيضا لا يتقبل مصطلح الشخصية الإيجابية والشخصية السلبية . و يعلن عن ميله لمصطلح **الشخصية المدورة** (لصاحبه ميشال زيرافا) ، و استند إلى شبهها برسالة الجاحظ [21]، حيث وصف شخصية نصفها حقيقي و نصفها خيالي . و يقف في تحديدها إلى جانب تودوروف ، فيعرفها بأنها ((هي المعقدة التي لا تستقر على حال ، و لا تصطلي لها نار ، و لا يستطيع المتلقي أن يعرف مسبقا ماذا سيؤول إليه أمرها ..)) ، و يضبط في مقابلها مصطلحا و مفهوما و هي **الشخصية المسطحة** .

<u>عمل و منهج فتحي بوخالفة :</u>

يتناول الناقد بوخالفة عنصر الشخصية في فصل من كتاب بعنوان ((لغة النقد الأدبي الحديث)) .

يحوي الكتاب بابين ، باب لمفاهيم و قضايا نظرية في النقد الأدبي الحديث ، و باب لبنية الخطاب الروائي العربي الحديث .

---

[20] نفسه ، ص : 83 .

[21] يقصد رسالة الجاحظ ، رسالة التدوير و التربيع .

تناول في الباب الثاني دراسة مُشكِّلات السرد في روايتي (الياطر) و (الشراع و العاصفة) للروائي السوري حنا مينة ، و نحن من هذا الباب نجد ضالتنا في فصل ((دراسة الشخصية الروائية)) .

احتوى الفصل على مقدمة نظرية ـ تقدر بست صفحات ـ تطل على نظرة النقد العالمي للشخصية ، و الجدير بالذكر هنا أنَّها كانت حكرا على مرجع واحد ، و هو مرجع ((بنية الشكل الروائي)) لصاحبه حسن بحراوي ، لذا ننسب للناقد فضل تلخيص و نشر الجهد الذي قام به الناقد المغربي .

احتوت المقدمة على عرض أهم المشْكلات المتصلة بمفهوم الشخصية :

ـ لمحة عن تطور مكون الشخصية في الفنون السردية منذ أرسطو حتى القرن التاسع عشر .

ـ موقف القارئ من الشخصية الروائية في النص ، ووضع حدود تفصل بين التخيّليّ و الواقعي ، لأن الشخصيات في النهاية (كلمات من ورق).

ـ يقدم الناقد أهم تعريفات (الشخصية) التي توصلت إليها فروع الاتجاه اللساني ، كأن :

. ترتبط الشخصية عند تودوروف بالوظيفة النحوية التي تقوم بها الشخصية داخل النص ، أما الوظيفة الأدبية فتستشف عند احتكام الناقد للمقاييس الثقافية و الجمالية .[22]

. تصبح الشخصية : ((وحدة دلالية قابلة للتحليل و الوصف حيث هي دال و مدلول ، و ليس معطى قبلي ثابت)) .

[22] أنظر : فتحي بوخالفة ، لغة النقد الأدبي الحديث ، ص : 237 .

. و ذكر ربط المفهوم اللساني للشخصية ، بامتلائه داخل النص ، عبر لوحاته السردية ، عن طريق النعوت و الأوصاف .

ـ كذلك عرض الكاتب أهم التصنيفات الشكلية للشخصية ، فذكر منها :

1 . التي تنظر إلى ثبات أو تغيُّر الشخصية فتنتج لنا : الشخصية السكونية هي التي لا تتغير طوال السرد . و الشخصية الدينامية و هي التي تمتاز بالتحولات المفاجئة داخل البنية الحكائية الواحدة .

2 ـ من التصنيفات التي تنظر إلى أهمية الدور الذي تقوم به الشخصية في السرد ، و تبعا لذلك تنتج عندنا شخصيات محورية و أخرى ثانوية .

و لكن الناقد يختار تصنيف (فيليب هامون) لعلَّة أنه أهم التصنيفات من الناحية الإجرائية [23]. و أنَّها قائمة على أسس نظرية واضحة ، و كذلك ترتبط بالتراث السابق . فيقدم هامون ثلاث أنواع من الشخصية الروائية :

أولاها : فئة الشخصية المرجعية : و التي من ضمنها الشخصيات التاريخية و الأسطورية و المجازية و الاجتماعية [24] ، و تعمل على التثبيت المرجعي . و نشير هنا إلى أن الناقد حذف المثال فأبهم المصطلح .

أما الثانية : فئة الشخصيات الواصلة : و هي العلامات الدالة على حضور المؤلف كالشخصيات الناطقة باسم المؤلف ، و الدالة على حضور القارئ.

---

[23] يتبع الناقد بوخالفة حسن بحراوي في اختياره ، بنية الشكل الروائي ، ص : 267

[24] في تلخيص الناقد حذف المثال لكل نوع من الشخصية مما زاد الغموض مثلا في : كون الشخصية المجازية هي التي يوضحها بحراوي بثنائية (الحب و الكراهية) ، و الاجتماعية بمثال (العامل و الفارس و المحتال) .أنظر ص : 238 .

و الثالثة : هي فئة الشخصيات المتكررة ، و هي الشخصيات التي تنسج داخل الملفوظ شبكة من الإستدعاءات و التذكرات ، و هي علامات مقوية لذاكرة القارئ من مثل الشخصيات المبشرة بخير ، أو تلك التي تذيع و تؤول الدلائل .

ـ ننسب للناقد جهده في تحليل شخصيات الأنموذجين ، كما ننسب له فضل تطبيق منهج فيليب هامون على النص الروائي .

ـ ينتمي الكتاب للكتب النقدية غير المتخصصة ، فيخصص الكاتب الباب الأول لموضوعات الأدب ، حتى يبدو موسوعة بكثرة و تنوع و تباعد عناوينه مما بدد جهد الناقد ، و كم أوراق الكتاب دون تركيز أي مبحث من مباحثه .

في آخر ما نتوصل إليه من مجمل هذه القراءة ، تطور النقد الجزائري أحيانا إلى الأمام و الإيجاب ، و تراجعه أحيانا لأسباب يجب أن نتلافاها :

و التي يكثر ضررها كالاتجاه إلى تأليف الكتب الموسوعية التي تبقى تكرارية تلخص ما أجمل من المعارف . أيضا نلمح للضرر بالمعرفة النقدية و بالطاقات النصية ، عندما يبتعد المؤلف عن الرجوع إلى متن النصوص الروائية ، فقد تبقى النظريات تدور في فلكها حتى يكاد يُطمس رمزها ، و تذهب النصوص بعيدة في سماء الإبداع . و مما قد يشوب النظرية النقدية العربية ، ترجمة الدراسات و نقل المناهج التحليلية الأخرى دون النظر إليها، و مناقشتها مع ما تنتجه الساحة الأدبية المحلية .